بسم الله الرحمن الرحيم

الدولة الإسلامية بين يدي الملحمة

-المهاجرون إلى أرض الملاحم-

قال الإمام أبو مصعب الزرقاوي تقبّله الله:

"فأقسم بالذي إليه أعود، أنه ليس هناك جهاد حقيقي في العراق إلا بوجود المهاجرين، أبناء الأمة المعطاء، النُزّاع من القبائل، الذين ينصرون الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فإياكم أن تفقدوهم، فبذهابهم ذهاب ريحكم، وبذهابهم ذهاب بركة الجهاد ولذته، فلا غنى لكم عنهم، ولا غنى لهم عنكم" [أينقص الدين وأنا حي].

الحمد لله الكبير المتعال، والصلاة والسلام على الضحوك القتّال، وعلى أهل بيته الطيّبين الأطهار؛ وبعد:

لو تأمّل الموحّد في كل الكتب التي ألّفها المؤرّخون، لما وجد دولة كالدولة الإسلامية في العراق والشام، خاصّة بتجديدها في كنَف أمير المؤمنين أبي بكر الكرّار (نصره الله وثبّته)؛ فهل أُقيمت دولة في تاريخ البشرية كما أُقيمت[1] الدولة الإسلامية بامتدادها إلى الشام؟

تأمّل -رحمك الله- الدول في التاريخ، دول المسلمين ودول المشركين، هل قامت **بهجرة الغرباء الفقراء من مشارق الأرض ومغاربها ليجتمعوا في مُهاجَر ذي حرب فيبايعوا رجلا "مجهولا"**، رغم محاربة أمم الأرض لدينهم ودولتهم وهجرتهم سياسيا واقتصاديا وعسكريا وإعلاميا واستخباراتيا، ولا يربط بينهم "شعب" ولا "وطن" ولا لغة ولا معرفة ولا دنيا... هذا أمر لم يحدث قط في تاريخ البشرية إلا للدولة الإسلامية! ولن يحدث مثله بعده إلا تبعاً لها، والله أعلم.

حتى دولة المدينة التي أُقيمت بدماء الصحابة رضي الله عنهم، كان جُلّ مهاجريها من قريش، وربط فيما بينهم النسب والمصاهرة واللغة والتاريخ والمعرفة وأرض الحجاز، وأكثر هذه الروابط ربطت بينهم والأنصار في المدينة قبل الرسالة[2].

أما لو ذهبتَ إلى ثغور الرقة والبركة والخير وحلب إلخ... لوجدتَ الجنود والأمراء من كل الألوان والألسن والبلدان: النجدي والأردني والتونسي والمصري والصومالي والتركي والألباني والقوقازي والإندونيسي والروسي والأوروبي والأمريكي إلخ... نزعوا عن أهاليهم وديارهم لتجديد دولة الموحّدين في الشام، ولم يعرفوا بعضهم بعضا إلا فيها!

وهذه الدولة التي جمعت جُلّ المهاجرين في الشام، وصارت أكبر تجمّع لهم في الدنيا... لا أشك أنها أعجوبة تاريخية لم تأت إلا ممهّدة للملحمة الكبرى، والله أعلم.

وأصبحت الدولة واقعا كونيا ظاهرا للأبصار، لا يستطيع أن يتجاهل خطرها أهل الردّة فضلا عن عبّاد الصليب واليهود؛ ثم يعرض عنها المنتسبون زورا إلى الجهاد بل ويناصبونها العداوة علانية في سباق عجيب مع الصليبيين والمرتدّين!

وسبحان الله، ما أعظم شأنها! وما أعظم المنّة من الله على من هداه إليها، وأكرمه بصحبة المهاجرين في دولة الإسلام، المنغمسين في الملاحم! فالمرء على دين خليله، ولا يحبّ قوما إلا حُشر معهم، شاء أو أبى.

النُزّاع من القبائل

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: **(إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء)**. قيل: ومن الغرباء؟ قال: **(النُزّاع من القبائل)**.

[رواه الإمام أحمد والدارمي وابن ماجه؛ وصحّحه البغوي في "شرح السنة"، وقال أحمد شاكر: "إسناده صحيح"، وقال محقّق المسند: "إسناد أحمد صحيح على شرط مسلم"].

قال الإمام أبو مصعب الزرقاوي تقبّله الله:

"وقد وصف الشارع هؤلاء الغرباء بجملة من الأوصاف، منها: أنهم نُزّاع الناس، أو النُزّاع من القبائل، والنُزّاع جمع نزيع ونازِع، وهو الغريب الذي نَزَعَ عن أهله وعشيرته [أي: بعُد وغاب]، والنَزائع من الإبل: [الغَرائب]؛ قال الهروي رحمه الله: أراد بذلك المهاجرين الذين هجروا أوطانهم إلى الله تعالى"

[القابضون على الجمر – بتصرّف].

وقال البغوي –رحمه الله– في "شرح السنّة":

"أراد المهاجرين الذين هجروا أوطانهم في الله عزّ وجلّ"؛ وقاله ابن الأثير –رحمه الله– في "النهاية".

وقال السندي –رحمه الله– أنّهم: "الذين يخرجون عن الأوطان لإقامة سنن الإسلام" [كفاية الحاجة].

وقال الكلاباذي رحمه الله:

"فإذا صار الأمر إلى هذا، كان المؤمن فيهم كالمؤمن في وقت النبي صلى الله عليه وسلم، فإن النازع من القبيلة مهاجر مفارق أهله، وماله، ووطنه، مؤمن بالله مصدق به وبرسوله، والله عز وجل مدح المؤمنين بإيمانهم بالغيب، فقال **{يُؤْمِنُوْنَ بِالْغَيْبِ}**، وكان إيمان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم غيبا وشهودا، فإنهم آمنوا بالله واليوم الآخر غيبا، وآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم شهودا وعيانا، ينزل عليهم الوحي، ويرون الآيات، ويشاهدون المعجزات، وآخر هذه الأمة يؤمنون بما آمن به أوائلهم غيبا، ويؤمنون غيبا بما آمن به أوائلهم شهودا، وهو إيمانهم بالنبي صلى الله عليه وسلم، فإنهم لا يشاهدون النبي صلى الله عليه وسلم عينا، ولذلك صاروا أعجب الناس إيمانا كما [في الحديث] عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: **(أعجب الناس إيمانا قوم يجيئون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني، ويصدقوني ولم يروني، فأولئك إخواني)**[(3)]" [معاني الأخبار – باختصار].

وقال ابن القيم رحمه الله:

"[إن] الله سبحانه بعث رسوله وأهل الأرض على أديان مختلفة، فهم بين عباد أوثان ونيران، وعباد صور وصلبان، ويهود وصابئة وفلاسفة، وكان الإسلام في أول ظهوره غريبا، وكان من أسلم منهم واستجاب لله ولرسوله غريبا في حيه وقبيلته وأهله وعشيرته؛ فكان المستجيبون لدعوة الإسلام نزّاعا من القبائل، بل آحادا منهم تغرّبوا عن قبائلهم وعشائرهم، ودخلوا في الإسلام، فكانوا هم الغرباء حقّا، حتى ظهر الإسلام وانتشرت دعوته ودخل الناس فيه أفواجا، فزالت تلك الغربة عنهم، ثم أخذ في الاغتراب والترحّل، حتّى عاد غريبا كما بدأ، **بل الإسلام الحقّ الذي كان عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه هو اليوم أشدّ غربة منه في أول ظهوره**، وإن كانت أعلامه ورسومه الظاهرة

مشهورة معروفة، فالإسلام الحقيقي غريب جدّا، وأهله غرباء أشدّ الغربة بين الناس" [مدارج السالكين – بتصرّف يسير].

فالغرباء هم الذين خرجوا عن أهاليهم وديارهم هجرةً في الله ولإقامة الدين؛ وهم –في قرون الغُثاء الواهن– أعجب الخلق إيمانا، وأشدّهم غربة.

الشام أرض الملاحم

ثم هؤلاء النُزّاع اجتمعوا في الشام – أرض الملاحم والملحمة الكبرى؛ وقد أخبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بملاحم ستقع في مواضع من الشام **وقربها:** كالغوطة، ودمشق، ودابق (أو الأعماق)، ونهر الفرات، والقسطنطينية[4]، وربط بين هذه الأرض المباركة وكثير من أحداث المسيح والمهدي والسُفْياني[5] والدجّال.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: **(إن فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة، إلى جانب مدينة يُقال لها دمشق، من خير مدائن الشام)** [رواه الإمام أحمد وأبو داود والحاكم؛ صحيح: "تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق" رقم 15].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: **(إني رأيت كأن عمود الكتاب انتُزع من تحت وسادتي، فأَتْبَعْتُه بصري فإذا هو نور ساطع عُمد به إلى الشام، ألا وإن الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام)** [رواه الحاكم؛ صحيح: "تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق" رقم 3].

ورواه الإمام أحمد عن عمرو بن العاص رضي الله عنه، ولفظه: **(بينا أنا في منامي، أتتني الملائكة فحملت عمود الكتاب من تحت وسادتي، فعمدت به إلى الشام، ألا فالإيمان حيث تقع الفتن بالشام).**

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: **(الشام أرض المحشر والمنشر)** [رواه البزار والربعي وابن عساكر مرفوعا؛ صحيح: "تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق" رقم 4].

قال الشيخ حمود التويجري –رحمه الله– معلّقا على بعض أحاديث الفتن والملاحم في الشام:

"في هذه الأحاديث دليل على أن جُلّ الطائفة المنصورة يكون بالشام في آخر الزمان، حيث تكون الخلافة هناك، ولا يزالون هناك ظاهرين على الحق، حتى يرسل الله الريح الطيبة، فتقبض كل من

في قلبه إيمان، كما تقدم في الأحاديث الصحيحة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك)**" [إتحاف الجماعة].

الهجرة إلى الشام من ملّة إبراهيم

وكانت هجرة الغرباء إلى الشام اتّباعا لملّة إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذي سنّ لهم إبداء العداوة والبغضاء للمشركين وطواغيتهم.

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: **(ستكون هجرة بعد هجرة، فخيار أهل الأرض ألزمهم مُهاجَر إبراهيم، ويبقى في الأرض شرار أهلها تَلفِظُهم أرْضُوهم، تَقْذَرُهم نفْس الله، وتَحْشُرُهم النار مع القردة والخنازير)**.

[رواه الإمام أحمد وأبو داود والحاكم؛ وصحّحه الذهبي في "التلخيص"، وقال البوصيري في "إتحاف الخيرة": "رواته ثقات"، وقال أحمد شاكر: "إسناده صحيح"، وانظر: "الصحيحة" رقم 3203].

قوله صلّى الله عليه وسلّم: **(ويبقى في الأرض شرار أهلها)** إلى آخر الحديث، أي: بعد أن: **(يبعث الله ريحا طيبة فتَوَفَّى كل من في قلبه مثقال حبّة خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه)** [صحيح مسلم]، وفي رواية: **(فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس، يتهارجون فيها تهارُج الحُمُر**(6)**، فعليهم تقوم الساعة)** [صحيح مسلم]، وفي رواية: **(يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كَبِد جبل لدخلته عليه، حتى تقبضه، فيبقى شرار الناس، في خِفَّة الطير وأحلام السباع**(7)**، لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا)** [صحيح مسلم].

وهذه الريح الطيبة تقبض أرواح المؤمنين في كل الأرض: الحجاز والعراق واليمن والشام إلخ، وتُرسل بعد سنين من هلاك الدجّال، ووفاة المسيح عليه الصلاة والسلام.

وقال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله:

"والإسلام في آخر الزمان يكون أظهر بالشام، [...] فخيار أهل الأرض في آخر الزمان ألزمهم مُهاجَر إبراهيم –عليه السلام– وهو بالشام" [مجموع الفتاوى].

وقال رحمه الله: "فقد أخبر أن خير أهل الأرض ألزمهم مُهاجَر إبراهيم، بخلاف من يأتي إليه أو يذهب عنه[8]، ومُهاجَر إبراهيم هي الشام؛ وفي هذا الحديث بشرى لأصحابنا الذين هاجروا من حرّان وغيرها إلى مُهاجَر إبراهيم، واتّبعوا ملّة إبراهيم ودين نبيّهم محمّد صلّى الله عليه وسلّم تسليما، و[فيه] بيان أن هذه الهجرة التي لهم [تعدل] هجرة أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة، لأن الهجرة إلى حيث يكون الرسول وآثاره، وقد جعل مُهاجَر إبراهيم يعدل لنا مُهاجَر نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم، فإنّ الهجرة إلى مُهاجَره انقطعت بفتح مكّة" [مجموع الفتاوى - بتصرّف يسير].

وعن عبد الله بن حوالة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: **(سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنودا مجنّدة، جند بالشام، وجند باليمن، وجند بالعراق)**، قال ابن حوالة: خر لي يا رسول الله إن أدركت ذاك، قال: **(عليك بالشام، فإنه خيرة الله من أرضه، يجتبي إليه خيرته من عباده، فإن أبيتم، فعليكم بيمنكم، واسقُوا من غُدُركم، فإن الله عزّ وجلّ قد توكّل لي بالشام وأهله)** [رواه الإمام أحمد وأبو داود والحاكم؛ صحيح: "تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق" رقم 2].

فاجتمع النُزّاع من القبائل -خيرة الله من عباده- بإمام وجماعة على ملّة إبراهيم؛ اجتمعوا في أرض الملاحم قُبيل الملحمة الكبرى، وأعلنوا منها عداوتهم وبغضاءهم لعبّاد الصليب وأهل الردّة وصلبانهم وحدودهم وصناديق اقتراعهم، وبايعوا على الخلافة أو الموت دونها، ثمّ خالفهم وخذلهم "الحكماء" و"المنظّرون" و"الكبراء"، ونعتوهم بالحرورية الحشاشين الخوارج أحفاد ابن ملجم كلاب أهل النار! فإذا كان المهاجرون في دولة الإسلام بآلافهم كلاب أهل النار، فمن هم النُزّاع من القبائل، خيرة الله من خلقه؟ لم يبق في الشام غيرهم مهاجر إلا نزرا يسيرا تهوي أفئدتهم إلى دولة الإسلام والبيعة للإمام، ثمّ لن يبقى خارجها إلا من تحول بينه وبينها أمواج من الحسد والكبر كالجبال، فيغرق في مناهج المنافقين ومرضى القلوب والمرجفين، ويناصر صحوات الردّة متّبعاً "الرخص" في طريقه إلى الزندقة... نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة...

كتبه

أبو ميسرة الشامي

غفر الله له

(1) الدولة الإسلامية أُقيمت وأُعلنت في العراق، وإنما جدّد الله لها التمكين والظهور بامتدادها إلى الشام.

(2) هذه الفروق بين الدولتين لا تعني تفضيل الخلف على السلف، فإنها في الأصل فروق تاريخية لا فضائل دينية، ومثلها قول ابن القيم رحمه الله: "بل الإسلام الحقّ الذي كان عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه هو اليوم أشدّ غربة منه في أول ظهوره" [مدارج السالكين]، وقريب منها حديث "للعامل منهم أجر خمسين منكم..." وحديث "إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني..." ثم إن للصحابة فضائل لن تكون لأحد بعدهم مهما اجتهد وجاهد.

(3) رواه الطبراني في "الكبير" عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما؛ قال الشيخ عبد الله الدويش –رحمه الله– بعد أن سرد روايات هذا الحديث: "فهذه الروايات المتعدّدة المتباينة تدل على أنه محفوظ صحيح كما جزم به الحافظ بن كثير والله أعلم" [تنبيه القارئ لتقوية ما ضعّفه الألباني:12].

(4) وبيت المقدس وباب اللُدّ وجبل الخَمَر وبحيرة الطَبَرِيّة ونهر الأردن وطور سيناء إلخ...

(5) أصح ما ورد فيه ما رواه الحاكم في "المستدرك" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: **(يخرج رجل يقال له السُفياني في عُمْق دمشق، وعامّة من يتبعه من كَلْب، فيقتل حتّى يبقر بطون النساء، ويقتل الصبيان، فتجمع لهم قَيْس فيقتلها حتى لا يمنع ذَنَبُ تَلْعَة، ويخرج رجل من أهل بيتي في الحَرَّة فيبلُغ السُفياني، فيبعث إليه جندا من جنده فيهزمهم، فيسير إليه السُفياني بمن معه حتى إذا صار ببيداء من الأرض خسف بهم، فلا ينجو منهم إلا المخبر عنهم).** قال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين، ولم يخرجاه"، وقال الذهبي في "التلخيص": "على شرط البخاري ومسلم".

وصحّحه الشيخ حمود التويجري رحمه الله في "الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر" [ص 38–39]، وردّ على من ضعّفه؛ والله أعلم.

(6) قال النووي رحمه الله: "أي يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير، والهرْج بإسكان الراء الجماع" [شرح صحيح مسلم].

(7) قال النووي رحمه الله: "معناه يكونون في سرعتهم إلى الشرور وقضاء الشهوات والفساد كطيران الطير، وفي العدوان وظُلْم بعضهم بعضا في أخلاق السباع العادية" [شرح صحيح مسلم].

(8) وأمّا المسافر خارج الشام للجهاد بأمر الأمير، فسفره طاعةٌ لا تنافي هجرته إلى الشام أو مُقامه فيها ولو استشهد خارجها، كما استشهد الصحابة مقبلين على العدو، ومنغمسين في صفوفهم خارج المدينة، رغم هجرتهم إليها وفضلها

على سائر بقاع الأرض إلا مكّة، والمدينة أشرف من الشام؛ وانظر مسألة مشابهة حول الهجرة والسفر في: "إرشاد الطالب إلى أهم المطالب" [ص 18-19] للشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله.

وأما جند العراق -رمح الله وجمجمة العرب- المرابطون في ثغورها، فقال الله جلّ وعلا: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ}**؛ قال ابن كثير رحمه الله: "أمَر الله تعالى المؤمنين أن يقاتلوا الكفّار أوّلا فأوّلا، الأقرب فالأقرب إلى حوزة الإسلام" [تفسير ابن كثير]، ورباط كل جند بأقرب الثغور إليهم أطوع للأمر في الآية، بل هو الواجب الذي يحقّق المصلحة الضرورية للجهاد في عصرنا قطعا، ثمّ إنهم في فرض (لا سيما مع أمر الأمير، فطاعته في الجهاد طاعة لله)، والمُقام في الشام -في حقّهم- فضل، فلو تركوا ثغورهم لاستولى الرافضة -حلفاء النصيرية- على العراق ثم الشام ثم جزيرة العرب، وتقديم الفضل على الفرض من كيد الشيطان ليفوّت على العبد أفضل ما يتقرّب به إلى ربه؛ ومن سدّ ثغره في العراق ليعوّضنّه الله خيرا من العراق والشام - جنّة عرضها السماوات والأرض، ورضوان من الله أكبر.